

تشكلات الخطاب: بين تأويل المعنى ودلالة النصّ

د. دورين نصر^{1*}، ود. ماريا نصر²

(Email- dorine.nasr@fty.balamand.edu.lb)⁽¹⁾

(email- Maria.m.nasr@balamand.edu.lb)⁽²⁾

*Corresponding Author: ود. ماريا نصر
(email- Maria.m.nasr@balamand.edu.lb)

الملخص

تكشف هذه الورقة العلمية مفهوم الخطاب بمختلف أنواعه، وتقدم تصوّرًا نقديًا عن تفكيك الشيفرات النصّية التي تساعد على تكوين الناتج الدلالي. وتختلف بنية النصّ الخطابية وأبعاده الدلالية بحسب وظيفته والهدف المرجو منه. ويتناول الخطاب مواضيع شتى ترتبط بالفرد والمجتمع والاقتصاد والسياسة والثقافة وغيرها من الأمور المرتبطة بحياة الإنسان وعلاقته البناءة مع الآخر، ودوره الفاعل في محيطه.

في هذا السياق، حصرنا البحث في ثلاثة أنواع من الخطاب: الديني والأكاديمي والأدبي. برز الخطاب الديني بوصفه خطابًا مؤسسيًا يستند إلى مرجعيّات مقدّسة، ويؤجّه بعد تشكيل الوعي الجمعي. بينما يتسم الخطاب الأكاديمي بالطابع البرهاني والموضوعية، حيث يستهدف بناء المعرفة عبر الحجاج العقلاني. أما الخطاب الأدبي، فيتميّز بالانزياح عن المألوف مستخدمًا الانزياحات الجمالية والرموز المفتوحة لخلق دلالات متعدّدة، فتحوّل الملفوظة إلى حدث اجتماعي حسّي وحواري. وقد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي؛ إذ أنّ مهمة لسانيات النصّ وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصّية بمستوياتها المختلفة، فسألنا الضوء على كلّ نوع بشكل يوضّح تشكلاته ويسهل فهم المتلقّي.

الكلمات المفتاحية

الخطاب، الخطاب الديني، الخطاب الأكاديمي، الخطاب الأدبي، السياق، الدلالة، الحوارية.

المقدمة

بالتالي يدلّ المعنى بمجمله على جوهر الاشتراك في فعل الكلام، وقد نحا هذا النحو الفيروز أبادي⁽³⁾ في "القاموس المحيط"، وأشار إلى شيء من ذلك الزبيدي⁽⁴⁾ في "التاج".

1-ب- الخطاب اصطلاحًا

لا ينفصل مفهوم الخطاب، باعتباره مصطلحًا، عن دلالاته اللغوية والقرآنية. والقراءة الاصطلاحية لكلمة خطاب هي قراءة متحوّلة ترتبط بالسياق الذي تستخدم فيه، لذا نجد لها دلالات لغوية وفلسفية وغيرها. جاء مفهوم الخطاب عند أرسطو⁽⁵⁾ موازيًا لمدلول الخطابية (Rhétorique) وتعني الكلام المقنع⁽⁶⁾. ونظر الغزالي⁽⁷⁾ إلى مفردة الخطاب بوصفها مصطلحًا، حين عرّف الكلام بأنه "اسم مشترك قد يُطلق على الألفاظ الدالة على ما في النفس، تقول: سمعت كلام فلان وفصاحته. وقد يُطلق على مدلول العبارات، وهي المعاني التي في النفس"⁽⁸⁾. ونجد الأمدي⁽⁹⁾ يعرّف الخطاب بأنه "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"⁽¹⁰⁾، والتواضع هو الاتفاق على مؤدّى اللفظ. كما يرتبط مفهوم الخطاب في النظريّة النقدية المعاصرة باللسانيات، بعد أن تجاوز الباحثون حدود الجملة التي كانت تُعدّ أكبر وحدة لغوية قابلة للتحليل نحو وحدات أكبر هي الملفوظ. وأوّل من استخدم هذا المصطلح اللغوي الأميركي هاريس (Zellig Sabetai Harris)⁽¹¹⁾؛ إذ عرّف الخطاب بأنه ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل⁽¹²⁾.

إذا كان هاريس يركّز على الملفوظ بوصفه متتالية جمل تجمع بعضها ببعض علاقات نحوية وتركيبية وصوتية ودلالية، فإن إميل بنفنيست (Emile Benveniste)⁽¹³⁾ يُعرّف الخطاب بأنه كلّ تلفظ (Énonciation) يفترض متكلّمًا ومستمعًا، وتكون لدى الأوّل نية التأثير في الثاني⁽¹⁴⁾. من هنا، تجاوز بنفنيست حدّ الملفوظ (النصّ) ووضع مفهومًا جديدًا هو التلقّظ، وبدأ النظر إلى النصّ باعتباره فعالية تواصلية تستند إلى اللغة، وتتعدّها إلى أطراف الفعالية المختلفة غير اللغوية، ما يعارض مفهوم النصّ المغلق، كون الخطاب يرتبط في جوهره بممارسة الكلام في الحياة.

يُعدّ الخطاب في جوهره مجال بحث تتقاسم الاهتمام به حقول معرفية عديدة، الأمر الذي أدى إلى تنوّع مقارباته، واختلاف الأسس والمرجعيات النظرية التي تستند إليها اتجاهات تحليله. ولهذا يتركز البحث فيه على الأبنية النصّية حينًا، وعلى وظائفها وتأثيراتها حينًا آخر.

ولا يوجد في الواقع، أنموذج واحد يمكن أن يحسم كلّ القضايا الشائكة التي يطرحها إنتاج الخطابات وتأويلها؛ إذ نجد فيه مزيجًا من المناهج المنحدرة من اللسانيات، والنحو، والتداولية، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة، والبلاغة. وقد ارتأينا في هذا البحث تقديم تصوّرًا للخطاب بأشكاله التالية: الديني والأكاديمي والأدبي.

وعليه، يمكننا أن نطرح الإشكالية التالية:

هل يعكس الخطاب جوانب من رؤية مرسله: دينيًا وأدبيًا وأكاديميًا؟

تتبقى من هذه الإشكالية عدّة تساؤلات، من أبرزها:

-ما هي نظرية تحليل الخطاب؟

-إلى أي مدى يمكن أن يكون الخطاب فاعلًا في المجتمع؟

أولًا- مفهوم الخطاب

يُنظر إلى مفهوم الخطاب في الدراسات النقدية العربية باعتباره مصطلحًا وافيًا من الثقافة الغربية، يحمل دلالات متعدّدة بحسب الطّرف التي يجري فيها فعل التلقّظ مكتوبًا أو شفهيًا. ومهما تعدّدت التعريفات حول هذا المصطلح، يبقى غير ثابت لغويًا، فهو من الألفاظ المتحوّلة دلاليًا والمتفرّعة بمفاهيمها.

1- الخطاب لغةً واصطلاحًا

1-أ- الخطاب لغةً

كلمة الخطاب مستمدة لغويًا من الفعل الثلاثي "خطَبَ"، والمخاطبة هي المحادثة. أمّا الخطاب فهو الكلام المتبادل بين اثنين. وتدلّ هذه المفردة في موروثنا اللغوي على المراجعة والمحادثة والحوار، فالخطاب: "مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا، وهما يتخاطبان...، والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة"⁽²⁾.

الذين وإبرازها أكثر من غيرها وفق ما تلبه الظروف. وهذا الخطاب يمكن أحياناً أن يُجتزأ من التصور الديني العام، أو أن يغلو في بعض الجوانب، ما يشكل تشويهاً للدين (21). وفي أحيان أخرى، يمكن أن يشكل خطاب ديني موجّه من بعض الفئات المحليّة أو الإقليميّة أو الدويليّة من أجل تحقيق مصالح خاصّة، وذلك تحت غطاء ديني ترميها يسهل من عمليّة التأثير والسيطرة.

ولو رصدنا مصطلح "الخطاب" في القرآن الكريم، لتبيّن لنا أنّه ورد في مواضع مختلفة، هي:

قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: 20].

وقال تعالى: ﴿فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: 23].

وقال تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبا: 37].

وقد ذهب المفسرون إلى أنّ هذه الآيات تُشير إلى أنّ مفهوم الخطاب يدور حول معاني الكلام، والفهم، والقضاء، والحوار، والخصام. وإذا أخذنا مفردات مجاورة لمفردة الخطاب في سياقاتها القرآنيّة لوجدنا أبعاداً جديدة قد تُضاف إلى تأويلات محتملة تخدم الدلالة الخاصّة لمصطلح الخطاب، ومن هذه المجاورات:

- ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63].

- ﴿وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ﴾ [هود: 37].

- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ [طه: 95].

- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الذاريات: 31].

فحن أمام مفهوم للخطاب يستمدّ من معناه العام، وأطراف من جنوره ومشتقاته، واجتهادات المؤلّين له، لنرسم بكلّ ذلك تصوّراً يعرّض النظر المصطلحيّة لكلمة "خطاب" من خلال ملازمة الحدث اللغويّ الكلاميّ الناجم عنها لسباق أعمّ (مناخ موضوعيّ كليّ، أو قيميّ اجتماعيّ، ...)، وكأنّ الخطاب في الأمثلة السابفة تتناول جزئية ما ضمن هذا الكليّ... لذا فإنّ مصطلح الخطاب من حيث معناه العام يُحيل على نوع من التناول للغة، أكثر ممّا يحيل على حقل بحثيّ محدّد. فاللغة في الخطاب قد تكون نشاطاً لأفراد مُندرجين في سياقات معيّنة (22).

ما يمكن استخلاصه من التداول اللغويّ والقرآنيّ لمفردة الخطاب أنّها تحمل في مستوى اللغة، دلالة الكلام سواء أكان شفهيّاً أم كتابيّاً، وهو كلام حامل بالبداهة لغرض ما، وتنمهي الدلالة القرآنيّة مع الدلالة اللغويّة في هذا المعنى، كما تُشير إلى ذلك عبارة "فصل الخطاب".

وعليه، يتجاوز الخطاب مجرد كونه وسيلة للتواصل اللغويّ، ليغدو نظاماً متكاملًا يحمل في طياته أبعاداً عقائديّة وتشريعيّة وأخلاقيّة واجتماعيّة. ففي الآية الأولى: "فصل الخطاب"، مصطلح مركّب يشير إلى القدرة على التمييز والفصل والحكم في الكلام والقضايا. شرحه المفسرون بمعانٍ متعدّدة لكنّها متقاربة، منها: "البيان الشافي في كلّ قصد، البيان الفاصل بين الحقّ والباطل، إصابة القضاء وفهمه، الفصل في الكلام والحكم، الإيجاز أي جعل المعنى الكثير في اللفظ القليل..." (23)، وكلّها تدور حول القدرة على إصدار حكم أو قول قاطع وواصل وواضح بناء على فهم وحكمة. هنا، الخطاب يتضمّن حكماً أو قضاءً أو بياناً فاصلاً، وهو ذو وظيفة قضائيّة أو بيانيّة حاسمة.

أما في الآية الثّانية، فقد وردت عبارة: "عزّني في الخطاب"، أي غلبي، يُقال: عزّ يعزّ إذا قهر وغلب (24). هنا الخطاب ذو وظيفة حاجيّة. أما الآية الثّالثة فيخبر "تعالى عن عظمته وجلاله وأنّه ربّ السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، وأنّه الرّحمن الذي شملت رحمته كلّ شيء... لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلّا بإذنه" (25). الخطاب هنا يعني الكلام الموجّه إلى الله، كما يشير إلى فعل الكلام نفسه في سياق معيّن يتسم بهيبة الموقف.

هذا الكشف عن خصائص اللغة في سياق الاستعمال يسلط الضوء على البعد التداوليّ للخطاب وعلاقته بالسلطة والمقام.

أما في الآية الثّالثة: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، فالسّياق يشير إلى وصف للمؤمنين وسلوكهم، "أي إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيّئ لم يقابلوه عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلّا خيراً" (26). الخطاب هنا هو الكلام الموجّه من طرف إلى آخر، ويحمل هذا السّياق دلالة سلبية (كلام الجهل). أمّا ردّ المؤمنين: "سلاماً" فهو استراتيجية خطابيّة مضادة تهدف إلى الإعراض عنهم وتجنّب المقابلة بالمثل. هذا

وهكذا، فالنصّ ذو بعد لغويّ، أما الخطاب فذو بعد اجتماعي. والنصّ في "السّنان" كيان معزول عن محيطه وظروفه أي عن سياقه، أما الخطاب فهو النصّ منظور إليه في سياقه الاجتماعيّ. ومهما توسّع مفهوم الخطاب، يبقى محتفظاً بسماته الجوهرية: تماسك الأجزاء، وترابط معانيه تريباً منطقيّاً، وارتباط الكلام فيه بالحياة، وهو يتخذ أشكالاً تتعلّق بقصدية المؤلّف من فعله التلقّي.

على الرّغم من الاختلاف القائم بين معظم الباحثين المهتمّين بالخطاب حول تحديد مفهومه، يبقى هذا الأخير مجموعة من الملفوظات المتبادلة في موقف تواصلّي، اختصّ ليعيّن الحديث المنطوق، إلّا أنّه بات اليوم يعيّن الكلام المكتوب. ومن أبرز شروطه امتلاك الكفاية التواصليّة.

2- تحليل الخطاب

إنّ تحليل الخطاب هو الحقل البحثي الذي يُعنى بتتبّع مظهر خطابيّ معيّن للوقوف على درجة تكراره، باعتبار معطياته خاضعة للسّياق الاجتماعيّ وأغراض المتكلّمين واستجابة المستمعين. ويُعدّ تحليل الخطاب مقارنة متعدّدة التخصصات (Multidisciplinaire) نشأت في أحضان علم اللّغة (اللسانيّات)، وتطوّرت في أوروبا، وتحديدًا فرنسا وبريطانيا وألمانيا، وفي الولايات المتّحدة الأميركيّة منذ السّتينيّات من القرن العشرين، معتمدة على مفاهيم تمّت استعارتها من تخصصات متعدّدة، كعلم النفس وعلم الاجتماع واللّسانيّات وعلوم الاتّصال، وهذا ما أكّده باتريك شارودو (Patrik Charaudeau) (15) في كتابه "معجم تحليل الخطاب" (Dictionnaire d'analyse du discours). وفي الاتّجاه نفسه يرى دومينيك مانغونو (Dominique Maingueneau) (16) أنّ تحليل الخطاب هو تحليل تفصّل النصّ والمكان الاجتماعيّ الذي نشأ فيه، النصّ وحده ينتمي إلى اللّسانيّات النّصّيّة، أمّا المكان الاجتماعيّ فينتمي إلى اختصاصات من قبيل السوسولوجيا والأنطولوجيا.

أما تحليل الخطاب، فدراسته جهة القول، يقع في الحقل الفاصل بين الاختصاصات، ولا يُمكنه أن يُختزل في هذا الاختصاص أو ذلك. النصّ وسياقه الاجتماعيّ كوجه الورقة وقفاها (17).

فإنّ تحليل الخطاب هو تحليل بنيويّ، يستند نظريّاً وتحليليّاً إلى المقاربات البنيويّة أو ما بعد البنيويّة، يدرس ما يسمّيه ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtine) (18) "التناص" (19)، أي العلاقة بين النصوص أو طريقة تفاعل النصوص فيما بينها. فتحليل الخطاب يُبرز أنّ الخطاب الشفهيّ أو المكتوب هو مثل كون تبرز فيه القيود، وينبغي أن يبرز التحليل ما يوجد في الخطاب من آثار القيود والتناقضات (20).

وعليه، يشكّل الخطاب نظاماً دلاليّاً لا ينفصل عن سياقاته التاريخيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، بل يكون نتاج تفاعل جدليّ بين اللغة والواقع. فكلّ خطاب يُنتج ضمن حقل رمزيّ خاصّ، تحكّمه شروط إنتاج محدّدة، وتوجّهه استراتيجيّات تواصليّة تختلف باختلاف الغايات والمتلقّي. من هذا المنظور، يمكن رصد أنماط خطابيّة متمايضة على نحو الخطاب الدينيّ والخطاب الأكاديميّ والخطاب الأدبيّ، لكلّ منها بنيته الداخليّة وآليّته الإقناعيّة، ووظائفه المعرفيّة أو الوجدانيّة.

ثانياً- الخطاب الدينيّ

الخطاب الدينيّ ليس كأيّ خطاب آخر، فهو الخطاب الأقدم عبر التاريخ، وربما الأكثر تأثيراً في أشكاله كافّة، وما يزال حتّى يومنا هذا يشكّل عنصراً هاماً من عناصر تكوين الأمم وثقافتها وممارساتها. فمعرفة إشكاليّة الخطاب الدينيّ تستدعي بداية معرفة هذا الخطاب: مضمونه ومكوناته. وتلك خطوات أوليّة لا بدّ من التبحر بها. ومعظم الإشكاليّات التي تعترض الباحثين تكمن في أنّ الكثيرين منهم يبحثون في ظاهرة الخطاب من دون الخوض في مفرداته، ومن دون التّعاطي مع الظروف الموضوعيّة التي أنشأته. وهنا يكمن قصر النظر في معالجة الموضوع ويبقى من دون حلّ، بل ربّما يتفاد إلى درجة يصعب معها الإحاطة به؛ فللخطاب الدينيّ مضمون وظروف من جهة، وموقع من جهة أخرى، وكلاهما مرتبط بالآخر.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الخطاب الدينيّ هو غير الدّين، بمعنى أنّ الدّين بما يحتويه من شريعة وعقيدة هو الأوّل وهو المعيار الصّحيح الذي تقاس عليه الأشياء، أما الخطاب الدينيّ فيتجسّد بإلقاء الضوء على بعض الجوانب في

أم تعليمًا أم وصية...، يحمل الكثير من الدلالات والرموز التي كان يريد من خلالها أن يُحاكي العصر ومختلف طبقات المجتمع التي كانت تتبعه، فاستقاه من حياة الناس اليومية، غير أنها بأبعادها ورموزها ودلالاتها، استمرت ملائمة لكل العصور حتى يومنا هذا.

وبالتالي، فإن تحليل الخطاب باعتباره فعلاً تواصلياً لغوياً هذا يتحدد بالسياق والمقام والغرض، يوفر إطاراً مشتركاً لفهم أعمق لآليات عمل النصوص الدينية المقدسة المختلفة، مع التسليم بخصوصيات كل نص.

وعليه، وبعد استجلاء ملامح الخطاب الديني في سياقاته المتنوعة، وما يحمل من سلطة مرجعية، سنتناول الحديث عن الخطاب الأكاديمي وإن كان يتميز بطبيعة وظيفية وأهداف مغايرة، إذ يمثل هذا النوع من الخطب تجلياً للسلطة الرمزية داخل حقل معرفي واجتماعي محدد، وهو الحقل الأكاديمي الخاص. وتسعى هذه الخطب، بما تحمله من رؤى واستراتيجيات وأهداف، إلى تشكيل تصورات جمهورها الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية والمجتمع الأوسع حول هوية الجامعة ورسالتها وموقعها في المشهد التعليمي والوطني.

ثالثاً- الخطاب الأكاديمي

يُخصّص هذا المبحث للحديث عن الخطاب الأكاديمي بشكل عام، مشددين على طبيعة الملفوظات من جهة، وسلطة المتكلم ووعي المتلقي من جهة أخرى.

1-إضاعة عامة

لا يمكننا الحديث عن مدى فاعلية المؤسسات التربوية من دون الاستناد إلى رأي ميشال فوكو (Michel Foucault) (30) للخطاب، على أنه "منظومة فكرية تكوّن مجموعة آراء ومواقف واتجاهات عمل ومعتقدات وممارسات، تبني أو تنظم منهجياً الموضوعات والشؤون الحياتية" (31).

والواقع أن كل الخطابات قيد الترس تشترك في وجود المتخاطبين ضمن وضعية خطابية، إلا أن خصائص كل وضعية هي التي تختلف من مستوى إلى آخر. ويُقصد بالوضعية الخطابية الوضعية التي يتم فيها إنتاج الخطاب الذي نتناوله بالدراسة والتحليل، وهي "وضعية تواصلية مستقلة وكاملة تامة" (32)، إذ تتوافر فيها الشروط اللازمة لقيامها وتأسيسها، وتتمثل في قطبي التواصل: المتكلم والمتلقي. ولأن فعل التعليم في الجامعة لا ينفصل عن فعل المعرفة، فالخطاب الجامعي يسمح بالتعبير عن "أنا" الفردية حياً، وعن "أنا" المزدوجة أو المتعددة حياً آخر. وتؤخذ في الحسبان "أنت" المتلقي الذي لا يأخذ الكلمة، لكنه دائم الحضور.

والجدير بالذكر أن طبيعة العلاقة بين أطراف العملية التواصلية في الخطاب الأكاديمي، هي التي تجعله يختلف عن الخطابات الأخرى التي يتم إنتاجها في وضعيات أخرى (33). فالخطاب الأكاديمي يتميز بالشفافية التي تدل على الصلة بين النص ومتلقيه، وكلما كان النص بعيداً من المتكلم الذي أنتجه كان أقرب إلى متلقيه. فمرجعية الخطاب الأكاديمي تمتاز بالموضوعية على عكس الخطاب السياسي الذي تمتاز مرجعيته بالذاتية (34).

انطلاقاً من ذلك، يمكننا القول إن الخطاب الأكاديمي موجه إلى المتلقي عامة وليس إلى متلقٍ معين. ويتأسس بطريقة واضحة للمتلقى الذي يشارك في تحقيق العملية التبليغية مع الرئيس الذي يملك حق القول، فيحقق الخطاب بذلك وظيفتين: وظيفة تعبيرية ووظيفة معرفية.

2- طبيعة الملفوظات

إن الخطاب هو مجموعة من الملفوظات المتبادلة في موقف تواصلية اختص ليعين الحديث المنطوق، وهو يعرف بتماسك أجزائه وترابط أفكاره. والملفوظة تكتسب دلالاتها من الموقف التحويري والسياق الاجتماعي، لذلك لا بد من استحضار فعل التواصل، لحظة التلقظ، عبر تأطير النص/الخطاب (من؟ إلى من؟ أين؟ متى؟)، ما يسهل الكشف عن القصدية التي رمى إليها المتكلم من خلال تناول الملفوظات أو المتتاليات التبادلية في الموقف التلقظي، فيسهل الفهم علينا، عندما نسمع خطاب الآخر، ونراه، فنلاحق نبرة صوته، وتعبير وجهه وحركاته... وكلها علامات دالة؛ ذلك أن شكل التعبير يعكس شكل المحتوى.

يوضح البعد الأخلاقي والتفاعلي للخطاب، وكيفية التعامل مع أنواع مختلفة منه.

كذلك عبارة "لا تُخاطبني في الدين ظلماً"، أي "كفروا بترك إهلاكهم" (27). النهي هنا عن نوع محدد من الخطاب. وهو خطاب الشفاعة أو المجادلة في أمر قد فُضي وانتهى. يحمل الخطاب هنا وظيفة شفاعية إذ يشير السياق إلى أن الله نهى نوح عن الشفاعة بشأن قومه الذين حكم عليهم بالغرق.

أما الآية التالية: (فَالْقَمَ حَطُّكَ يَا سَامِرِيُّ)، "أي ما حملك على ما صنعت؟ وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت؟" (28). الخطب هنا يعني الشأن والأمر والحال، والسؤال هو الدافع والسبب وراء فعله. وإن كان "الخطب" ليس هو "الخطاب" تامةً، إلا أنهما من جذر واحد. ويشير الخطب هنا إلى الأمر أو الشأن الهام الذي يستدعي كلاماً وتوضيحاً مبيّناً. وكذلك الآية: (قَالَ فَمَا حَطَّكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ)، تعني "ما شأنكم وفيهم جنتم" (29).

إن التحليل المتأني للآيات القرآنية الواردة يكشف عن ثراء مفهوم الخطاب وتعقد وظائفه وأبعاده في القرآن الكريم. فالخطاب ليس مجرد كلام يُلقى، بل هو فعل لغوي حيوي يتحدد وظيفته من خلال سياقه الدقيق وأطرافه والغرض منه.

وكما رأينا في القرآن الكريم خطاباً يؤدي وظائف قضائية (فصل الخطاب)، وحجاجية (عزني في الخطاب)، وتفاعلية أخلاقية (وإذا خاطبهم الجاهلون)، نجد في الكتاب المقدس بعده: القديم والجديد تنوعاً وظيفياً مشابهاً، فالخطاب فيه يتخذ أشكالاً متعددة، منها: "وبعد سنتين من الأيام، أرسل الملك (أنطيوخس) رئيس الجزية إلى مدن يهودا، فوفد على أورشليم في جيش كثيف، وخطبهم خطاب سلاح مكرراً فوثقوا به، ثم هجم على المدينة فجأة، وضربها ضربة عظيمة..." [سفر المكابيين 1: 30-32]. والمقصود هنا أنه توجه إليهم بكلام يُظهر لهم من خلاله أنه يريد السلام، ما جعلهم يطمئنون إليه، غير أنه كان مخادعاً (مكراً)، أراد من خلال خطابه أن ينال ثقهم ليفاجئهم ويقضي على مدينتهم. وبالتالي، فإن وظيفة الخطاب هنا هي التموه والكذب وتبطين التواي السيئة التي تتناقض مع الكلام الذي تقوه به.

وقد جاء في الكتاب المقدس: العهد الجديد: "حينئذٍ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه فقال لهم: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، فمهما يقولوه لكم لتحفظوه، فاحفظوه، واعملوا به، ولكن مثل أعمالهم لا تعملوا. لأنهم يقولون ولا يفعلوا" [متى 23: 1-3]. في هذه الآيات يتوجه يسوع بالحديث إلى الجموع وتلاميذه فيدعوهم إلى اتباع تعاليم الشريعة التي يلقونها الكتبة والفريسيون لكن عدم الاقتداء بهم وجعلهم قدوة ومثالاً لأنهم يتكلمون بالشريعة ويعلمونها، غير أنهم لا يقيمونها بها في تصرفاتهم وحياتهم اليومية. فوظيفة الخطاب تتضمن النصح والحدز.

كما ورد: "فدنا يسوع وخطبهم فقال لهم..." [متى 28: 18]، حيث يوصي السيد المسيح بعد قيامته بتلاميذه بحمل البشارة ونقل رسالته إلى جميع الأمم. وبالتالي يتضمن الخطاب هنا وصية تبشيرية.

وكذلك جاء في أعمال الرسل: "فوقف بولس على السلم، وأشر بيده إلى الشعب، فسأد السكوت، فأخذ يخطب فيهم بالعبرية" [21: 40]، "فلما سمعوه يخطب فيهم بالعبرية ازدادوا هدوءاً" [22: 2]، حيث نلاحظ أن بولس الرسول كان يتوجه إلى الشعب معلماً، بخطبة ألقاها في لغتهم، الأمر الذي جعلهم ينجسوا إليه. فوظيفة الخطاب هنا تعليمية عالمية، لأنها لا تقتصر على لغة المتكلم، بل تتعداها إلى لغة أخرى هي لغة المتلقي.

وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب المقدس، بخلاف القرآن الكريم، هو كتاب مترجم لم يدون في الأصل باللغة العربية، فاختلقت الترجمات في الصياغة لكنها حافظت على المضمون. ونلاحظ فيها كثرة استعمال فعل القول: "قال يسوع..."، "أوصاهم قائلاً...". وهو فعل يتضمن معنى المخاطبة. كما استعمل: ضرب لهم مثلاً، و"حدث" و"علم"...، وكلها أفعال تشير إلى توجه السيد المسيح بالكلام إلى تلاميذه والجموع التي كانت تتبعه حين كان يبشر. والملاحظ أن مضمون كلامه الموجه إلى المتلقي، سواء أكان مثلاً

تتلخص بعض العبارات المنتقاة من خطب بعض رؤساء الجامعات في الجدول الآتي:

جامعة اليمند	جامعة القديس يوسف	الجامعة الأميركية في بيروت	الجامعة اللبنانية
--------------	-------------------	----------------------------	-------------------

<p>مشارع فرح / مشاريع حزن -الحق يقتله الباطل -أحيوه -أنتم مسؤولون -سيدها البلمد -تألمت لحزنكم/ابتهجت لفرحكم -الخوف عقل الشجاعة -أوصيكم -كونوا أوفياء -لا تياسوا -عودوا لوطن تصنعوه بأيديكم</p>	<p>حضارتنا -أهمية الحياة الداخلية -كونوا شهوداً على القيم المشتركة -من أجل الشمولية والتعددية -لا يجب أن تتوقفوا عند الانقسامات الطائفية -جذوركم في هذه الأرض اللبنانية</p>	<p>خلق الفرص -مختلف أنحاء المنطقة -انتجتم معارف جديدة -قوة المعرفة والتحمل -عالم أكثر تعقيداً -العالم يدور في دوائر -قيم الاحترام العالمية</p>	<p>-مواهب الحصاد -جامعتنا الوطنية -على الصعيد الوطني -تعزيز موازنة الجامعة اللبنانية -إعفاءات ضريبية -الخروج من الأزمات -المجتمع اللبناني -مسارات التنمية</p>
--	---	--	---

راسخين كشجر الأرز"، "عودوا، الوطن تصنعونه بأيديكم"، "وطناً يرقى لمستوى أحلامكم"، "كونوا مثال المواطنة الصالحة ومحبة الوطن".

وقال رئيس جامعة القديس يوسف: "لا يستقيم الحب من دون حب الوطن"، "اعملوا دوماً ليكون هذا الوطن دولة قانون"، "جذوركم في هذه الأرض اللبنانية، ومنها يتغذى كيانكم الداخلي وإشراق وجوهكم"، "إن نسيان لبنان هو عمل لا يُعْتَفَر".

وفي خطاب رئيس الجامعة الأميركية: "سيكون الفصل الدراسي هو هذه الجامعة، وهذا البلد، وهذه المنطقة"، "الجامعة الأميركية، مثلها مثل العديد من المؤسسات التربوية التي تخدم لبنان"، "الروابط العميقة التي تربطنا بأوطاننا".

وورد في خطاب رئيس الجامعة اللبنانية: "الجامعة اللبنانية هي جامعة الوطن التي تشرق بوجهها المدني الرّاقى"، "أنا أدعو للحفاظ على العقول المبدعة... الذين بدأوا يفكرون بالهجرة إلى أوطان أخرى"، "سيفنا والقلم، عنوان لتثبيت مفهوم الوطن".

3-ب. قيم الحق والخير والجمال

قال رئيس جامعة البلمد:

"أنتم الأمل وأنتم الرجاء، وأنتم سبل الخلاص وطريق القيامة".

"أوصيكم بالتواضع، فهو من شيم أهل العلم والمعرفة".

"أوصيكم أن تحفظوا كرامتكم واعلموا أنّها أعلى ما عندكم".

"كونوا المبشرين بالسلام والمحبة والتعايش بين الأديان".

"أوصيكم بالكرم وصنع الخير".

وقال رئيس جامعة القديس يوسف:

"كونوا شهوداً على القيم المشتركة في جامعة القديس يوسف ولبنان، وعلى العيش المشترك والمواطنة".

"جامعة العيش المشترك في قلب بيروت".

"اعملوا ليكون هذا الوطن، دولة الجمال والعيش معاً".

"اعلموا أنّ السلطة تكمن في القيم التي تحملونها من هذه الجامعة".

وجاء في خطاب رئيس الجامعة الأميركية:

"أصبحتم قدوة، أنتم طلابنا، شكلكم جزءاً كبيراً من كلّ الجهود هذه".

"أنتم توفرون إحساساً بتمكين الأمثل، وهو إحساس ينتشر إلى ما هو أبعد من هذا الحرم الجامعي... لإعطاء الناس برهاناً على قوة المعرفة والتحمل والإيمان ونعم المنانة".

"عليكم العمل لخلق عالم أفضل".

وقال رئيس الجامعة اللبنانية:

"الجامعة اللبنانية تتوحى تأصيل القيم الإنسانية في نفوس المواطنين".

"عليكم أن تتحلوا بالفضيلة... لأنّ الفضائل التي تتوارثها عبر الأجيال كالصدق والرّحمة والشجاعة والعدالة والتّضحية والتّواضع، تستحقّ منا احتضانها".

الواقع أنّ تركيز الخطباء على موضوع حبّ الوطن، يزرع في كيان الطلاب صورة لبنان القيم والأخلاق. فالكلمات التي استخدمها الرؤساء تمّ اختيارها للتعبير عن المعاني التي يريدون أن يفهمها المتلقي. فكّل رئيس اختار أسلوبه اللغوي الذي يتناسب مع شخصيته، وكلّ كلمة تمّ تحليلها لمعرفة الأهداف التي يريد الرئيس أن يحققها. بالتالي، اتفق معظم الرؤساء على دعوة الطلاب إلى التمسك بقيم الحق والخير والجمال والعيش المشترك. فجميعهم كانوا على وعي خاص بتاريخ جامعاتهم، وعلى استيعاب ممتق للتراث الثقافي بتجلياته الفكرية والفنية.

في ضوء ما تقدّم من تحليل سعى إلى تفكيك الخطاب الأكاديمي، وإظهار الرؤى والتحوّلات المتعلقة بهذا الأخير، سنتناول في الدراسة الخطاب الأدبي مستندين إلى باحثين، وهو أول فيلسوف أطلق نظرية الخطاب بوجوهه المختلفة.

نشئ هذه الحقول المعجمية علاقة واضحة بين بنية الظاهر وبنية الكامن، ما يسمح بإقامة نوع من التكاثر أو التعادل البينوي بين الشكل والدلالة على مستوى الخطاب. ففي حين يدعو رئيس جامعة البلمد ورئيس جامعة القديس يوسف إلى العودة إلى الجذور، يفتح رئيس الجامعة الأميركية في بيروت نافذة نحو الكونية، ويحيلنا رئيس الجامعة اللبنانية إلى الأزمات المترتبة بالوطن.

3-أهداف الخطاب الأكاديمي

يأتي الخطاب الأكاديمي ليعبّر عن منظومة من الأفكار التي تشكّلت عبر تراكم معرفي نابع من استقراء الواقع الأكاديمي بكلّ مكوناته الثقافية والاجتماعية والسيكولوجية، لتتمحور عبر أنساق معرفية، مستمدة من التصورات التربوية، والتي تختلف في آلياتها ونظمها حسب مستوى النصح الفكري، والوعي بمتطلبات المؤسسة التربوية، ومدى ارتباطها بمستوى الأداء الحركي في عملية التغيير والتنمية والحضور الفكري.

فالخطاب الأكاديمي موجه لتحقيق مقصد تربوي ليؤثر في المتلقي وإقناعه. ويحمل هذا الخطاب رؤى تربوية وفكرية يسعى المرسل إلى ترسيخها، لذلك يستخدم الخطاب الأكاديمي الرموز والدلالات بهدف التأثير في عواطف المخاطبين ليحقق غايته وأهدافه.

ويمثل الخطاب الأكاديمي نشاطاً توصلياً موجهاً إلى تحقيق هدف ما، لذلك فإنّه يركّز على الأفكار والمضامين، فتقلّ مادته اللفظية ويتسع المعنى الدلالي لتلك الألفاظ؛ إذ أنّ المرسل يهتم بالفكرة ولا يعير الكثير من الاهتمام بالألفاظ الأخرى، وهذا يؤكد أنّ الفكرة في الخطاب الأكاديمي في الأصل هي ما تميّزه، إذ يعتمد بدرجة أساسية على عملية الإنتاج، وعلى مدى وعي المنتج له وفهمه، ومقدار القوة أو التفوذ داخل المؤسسة التي ينتمي إليها.

والواقع أنّ نمط التّصانم الذي يحافظ على وحدة المؤسسة الأكاديمية يخفي نسفاً من علاقات القوة التي يمارسها الرئيس بحكم موقعه من جهة، أو علاقته بالطلاب والهيئتين التعليمية والإدارية من جهة أخرى؛ فالنظام الأكاديمي في الجامعة يسهم بصورة مباشرة في عملية إنتاج النظام الاجتماعي على نحو كلي⁽³⁵⁾. فالعمل بروح الفريق الواحد يسهم في تنشئة طالب الجامعة على قيم الخير، وهذا ما يساهم في تكوينه المادي والفكري في وقت واحد. وقد لاحظنا في خطاب الرؤساء تشديدهم على فكرة انخراط الطالب في المجتمع بعيداً من الأنايئة، يسهم في إنتاج فرد فاعل في مجتمعه. ما يجعل الخطاب التعليمي يعيد إنتاج البنى الاجتماعية والثقافية بجميع سماتها وخصائصها، وهذا ما كان الرؤساء على وعي ودراية به، لأنّ العلاقات التي تدور داخل الجامعة، مسؤولة بالدرجة الأولى، عن تشكل شخصية الفرد، ما يترك أثراً كبيراً في نشأة المجتمعات. لذلك شدّد الرؤساء على فكرتين أساسيتين وهما: التّجذّر وحبّ الوطن من جهة، والتّمسك بقيم الحق والخير والجمال من جهة أخرى، فضلاً عن المواطنة.

3-أ-التجذّر وحبّ الوطن

الأرض والإنسان وجميع الكائنات إنّما هي جزء وكلّ في أن، تحتوي في ذاتها بداية ونهاية، كما تنطوي على انثلاف وتناقض. وتشكل الأرض جزءاً أساسياً من الوطن، كما تشكل أهمية خاصة بالنسبة إلى الإنسان بشكل عام، والطالب بشكل خاص، ولا سيما في حياته المادية والنفسية، نظراً إلى العلاقات المختلفة التي تنشأ بينه وبين عناصرها. فلبنان هو جزء من هذه الأرض المشرقية المتجزرة في التاريخ والمتمادية في الجغرافيا. بهذا الإيمان وبهذه الرؤية صاغ الرؤساء خطبهم، فجاء، على سبيل المثال: في خطاب رئيس جامعة البلمد: "لا تهملوا وطنكم وعاملوه كما تعاملون أهلكم"، "تذكروا أنّ الوطن كالكرامة إن خسرنه مرة لن يعود"، "لا تكونوا كالطيور المهاجرة، دون انتماء ولا هوية ولا جذور، بل كونوا

رابعاً-الخطاب الأدبي عند ميخائيل باختين

إن الحديث عن الخطاب الأدبي موضوع واسع وفضفاض، ولا يتسع المجال للإحاطة بكل التفاصيل، لذلك سنحصر الدراسة في الخطاب الأدبي عند ميخائيل باختين الذي يُعد أحد أهم منظري الأدب واللغة في القرن العشرين، إذ قدم رؤية ثورية حول طبيعته الخطاب الأدبي ووظيفته. لم ينظر باختين إلى النص الأدبي بوصفه كياناً أحادي الصوت ومُغلق، بل اعتبره فضاء ديناميكياً تتفاعل فيه أصوات ووجهات متعددة ضمن علاقة حوارية مستمرة. تتجاوز أهمية باختين مجرد التحليل اللغوي للتصوُّص لتشمل مفاهيم فلسفية واجتماعية عميقة حول الذات والآخر، إذ فتح الخطابات الإبداعية والتلقائية. وقد عرفت أهم إنجازاته بما سُمي بفعل الخطاب والقراءة بـ "الحوارية" و"الكرنفالية"، ولا سيما في الرواية (36). تُعد الروايات بالنسبة إلى باختين مستودعاً مفتوحاً يمتص خبرات العالم ويختزنها، ويستوعب ما يستجد. هذا العالم مؤلف من ذكريات واختبارات وأصوات عبر عنها بكلمات وملفوظات وخطابات (37).

ويرى باختين أن تحليل الخطاب تحليل لمن التلقظ، وهو عنده لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون فردياً، وذلك انطلاقاً من قناعته أنه ينهل من منابع عديدة تاريخية وثقافية واجتماعية. لذلك نجد يشدد على أهمية الاستعانة بالمنهج السوسولوجي، وعلى ضرورة تفسير خطاب الآخر تفسيراً سوسولوجياً.

وقد تعامل باختين مع الروايات من هذا المنظور، إذ فيها حوارات مركبة، أولاً بين الروائي وشخصياته ولا سيما البطل، ومن ثم بين المؤلف والقارئ بواسطة الشخصيات، بحيث يصبح القارئ نوعاً ما شخصية.

ولذلك، ما يكثر له باختين في العمل الإبداعي، هو فعل قراءته، واندماجه في وعي القارئ، ذلك أن فعل القراءة يشبه المحاور. وحينما أخذ باختين على عاتقه تشييد نظرية في الرواية، وفي الطابع التفاعلي للإبداع والتواصل الإنساني بشكل عام، فإنه ركز النظر في الرواية على أساس أن هذا الجنس الأدبي هو "النوع الاجتماعي للغات وأحياناً للغات والأصوات الفردية، تنوعاً منظماً أديبياً" (38). وما هيأ لهذا الجنس الأدبي هذه الميزة هو بنيته الخاصة، التي تسمح بدمج عدد هائل من المكونات اللسانية والثقافية المختلفة لتظهر على شكل تعدد الأصوات. وإن اهتمام باختين بالخطاب الروائي في التاريخ الأوروبي جعله يقف على طبيعة مقاربة الشعراء التقليديين لهذا الفن، والتي حُصرت في الجانب الإيديولوجي، ما جعله يسميها بالمقاربات التجريدية، ويظهر ذلك في قوله: "ظلت الرواية ردحاً طويلاً من الزمن موضع دراسة إيديولوجية مجردة" (39). مقابل هذه النظرة الإيديولوجية المجردة بدأ الاهتمام بتصاعد في نهاية القرن الماضي القضايا التقنية للرواية والقصة.

وقد جاءت اهتمامات باختين محددة الاتجاه نحو تحليل الخطاب الروائي، فقد حظيت أعمال دوستويفسكي الروائية باهتمامات خاصة من باختين المنقلب على الشكلايين الروس، فصادفت هوى في نفسه لما وجدها تتميز بالطابع الحوارية، الذي يظهر من شكل تعدد الأصوات واللغات والخطابات، "التي تتداخل وتتحوّل فيما بينها بشكل متكافئ ومتعادل، من دون تمييز صوت على آخر، وتفضيل وعي على آخر" (40).

وعليه، يرفض باختين فكرة الصوت المهيمن، أو الصوت الوحيد في الرواية. فقد اعتبر الشخصية صوتاً، لما لملفوظاتها الخطابية من أهمية، ولكل صوت وجهة نظر يعبر عنها. وهكذا باتت الحوارية مرادفاً لتعدد الأصوات، وتالياً لتعدد وجهات النظر. فالرواية الجيدة حين تُبنى على تعدد الأصوات لا يُسيطر عليها صوت المؤلف وحده، بل تتفاعل كـ "كون متعدد المراكز". كل صوت يحمل وعياً ذاتياً مستقلاً، وبشكل حقيقة نسبية تتصارع مع الحقائق الأخرى. بالتالي، لا توجد رسالة واحدة يقرضها النص، بل تتفاعل حوارات متعارضة.

سنستخد أنموذجاً للتحليل مقطع من رواية "السن والكلام" لنجيب محفوظ (41) حين يحاور سعيد مهران عيش صدقي في الفصل الرابع، حيث يواجه سعيد خيانة صديقه السابق.

1-صراع الأصوات في مشهد المواجهة

أ-الصوت الأول

صوت سعيد مهران: الضحية/ المنتقم/ البطل المتمرد يتم توظيف مفردات ثورية (خيانة، دماي، لص) تُظهر وعيه بطلاً "يعاني من مأساة". أما الجمل المتقطعة فتعكس اضطرابه النفسي، مثلاً: "أنت... "بغيتي"... وغيرها). فهو يرى نفسه ضحية للمجتمع، ويصر على شرعيته الأخلاقية: "أنا لست مجرماً، أنا منتقم"، "سرقوا حياتي"، ويرفع نفسه إلى مرتبة القاضي: "أنا المحقق".

كل هذا يظهر التناقض الداخلي الذي كان يعاني منه.

1-ب-الصوت الثاني

صوت عيش صدقي: الواقعي/ الخائن العملي. اللغة الموظفة هادئة، تولى أهمية بالغة للمادة: "العصر تغير"، "الثراء ليس جريمة"، فهو يرى نفسه واقعياً يعيش عصره، بينما سعيد "حقة من الماضي"، يُظهر لنا أن الحقيقة نسبية، فما يراه سعيد خيانة يراه عيش "تأقلاً"، إذ يُعرّف النجاح بالتكليف، بالنسبة إليه "الثراء ليس جريمة". ويبرز خيانتها باعتبارها "ضرورة"، فيمثل بالتالي اختلال منظومة القيم في المجتمع.

1-ج-الأصوات غير المباشرة

صوت ندى الابنة: غيابياً يشكل صوتاً صامتاً يُذكر ببراءة الماضي التي تُعارض فساد المجتمع.

صوت الزاوي: يتوارى خلف الشخصيات، فلا يُصدر أحكاماً صريحة، ما يترك المساحة للأصوات لتعبر عن نفسها من دون حكم مسبق.

2-البنية الحوارية واختلاف وجهات النظر

لا يتجلى الصراع بين الشخصيات فحسب، بل بين الرؤى التي تحملها كل شخصية، إذ يمثل سعيد الثورة على الفساد (الصوت المثالي المطلق)، أما عيش فيندمج في النظام ويمثل صوت النقية.

بالتالي، الرواية لا تنتصر لسعيد أو عيش، بل تترك القارئ في حيرة أخلاقية.

3-الانزياحات اللغوية والأسلوبية

يتجلى التناوب السرد من خلال الانتقال بين خطاب سعيد العاطفي وعيش العقلاني، ما يُظهر الانزياح بين الأنظمة الفكرية. أما المفارقة الباختيوية فتبدو واضحة من خلال رفض سعيد للمجتمع وحاجته إليه في الوقت عينه لينتقم منه. كذلك عيش نجده يدافع عن المجتمع لكنه يسرعه. فينادي سعيد بـ"السن" لكنه يرى نفسه بطلاً، أما عيش فينادي بـ"رجل الأعمال" لكنه لص مقنع. إضافة إلى ذلك يستخدم سعيد لغة الشعراء الثائرين (مجازات دموية)، أما عيش فيستخدم لغة المحاسبين (حقائق مادية).

كل ذلك يبين عدم إمكانية التوفيق بين الرويين.

وعليه، إن هذا المقطع يُجسد جوهر "البوليفوني" عند باختين، حيث لا صوت يعلو فوق الآخر. سعيد وعيش متساويان في التعقيد رغم تعارضهما. فالخيانة عند سعيد هي ذكاء عند عيش.

من هنا، لا يوجد بطل وحيد، بل أصوات متشابكة تُظهر تعقيد الوجود الإنساني. فنحجب محفوظ يخلق عالماً تتساوى فيه الأصوات، حتى لو تناقضت، ما يعمق التأويل ويجذب العمل الأدبي للتبسيط الإيديولوجي.

الخاتمة

لقد سعى هذا البحث إلى إظهار تشكلات الخطاب عبر استنطاق العلاقة الجدلية بين تأويل المعنى ودلالة النص، فوصلنا إلى استنتاجات تشير إلى طبيعة العلاقة الديناميكية لإنتاج المعنى وتداوله في سياقات متنوعة. وكشف تحليلنا نماذج من الخطابات الدينية والأكاديمية والأدبية أن الخطاب ليس ببنية لغوية تحمل دلالات قارة ومستقرة، بل هو نتاج عملية تفاعلية مستمرة تتشابه في إمكانات الدلالة الكامنة في النص مع فعل التأويل الذي تمارسه الدوات القارئة ضمن أطر معرفية ومؤسسية وتاريخية محددة. نضيف إلى ذلك أن العلاقات الخاصة بالمركب الخطابية تترتب عليها نتائج مهمة لتحليل الخطاب، باعتبار المتكلم يُنتج قولاً ليس كياناً له وجود خارج الخطاب وليس مستقلاً عنه.

وقد أظهر تحليل الخطاب الديني كيف يستند النص إلى مرجعيته المقدسة، ولكنه يبقى محافظاً على هويته الجمعية. فالدلالة وإن بدت راسخة، تخضع لعمليات تأويل مستمرة تعكس احتياجات الجماعة وصراعاتها المعرفية والاجتماعية.

في المقابل، كشف تحليل الخطاب الأكاديمي سعيًا حثيثاً نحو بناء مصطلحات محددة تضمن التواصل الفعال داخل المؤسسة الأكاديمية، فيتحوّل التأويل إلى أداة لإنتاج المعرفة.

أما الخطاب الأدبي فيشكل المجال الأرحب لإظهار جدلية الدلالة والتأويل، إذ يُنظر إلى التأويل كجزء لا يتجزأ من تجربة القراءة الأدبية نفسها، تصبح دلالة النص الأدبي أشبه بإمكانية مفتوحة لا تتحقق إلا من خلال فعل التأويل الذي يشارك القارئ من خلاله في إنتاج المعنى وإعادة تشكيل النص.

من عمليات انتقاء وتوجيه وتوليد للمعنى. إن فهم هذه الجدلية يفتح آفاقاً أوسع لتحليل الخطاب، ليس فقط باعتباره بنية لغوية، بل باعتباره ممارسة اجتماعية وثقافية ومعرفية تُصاغ من خلالها رؤى مختلفة.

وعليه، إن تشكلات الخطاب في مختلف الحقول ليست مجرد تجلٍ لدلالات نصية ثابتة، ولا هي نتاج تأويلات ذاتية منفصلة، إنها بالأحرى نتاج تفاعل جدلي مستمر بين ما يتيحه النص من إمكانات دلالية وما يفرضه السياق

الحواشي

(1) دورين نصر: باحثة وأكاديمية لبنانية. حائزة شهادة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها في معهد الآداب الشرقية - جامعة القديس يوسف. تدرّس في جامعة البلمند وجامعة القديس يوسف. رئيسة الرابطة الثقافية للاتحاد العربي في لبنان. وهي عضو في: الهيئة الاستشارية والتحريرية في مجلة "حوليات معهد الآداب الشرقية"، تحرير المعجم التاريخي للغة العربية في الشارقة، واللجنة العلمية للمؤتمر الدولي الثامن للدراسات العلمية، ولجنة الآداب ونتاجات الفكر في اللجان التنظيمية لطرابلس عاصمة للثقافة العربية للعام 2024، وعضو إداري في هيئة الصليب الأحمر اللبناني (فرع الكورة)، وعضو تأسيسي في جمعية بيت الكل في طرابلس، وفي الرابطة الثقافية في الكورة، وفي جمعية التنمية اللبنانية في طرابلس. كما أنها عضو تحكيم القصة القصيرة حول غزة، في مؤتمر القصة القصيرة من المحيط إلى الخليج، وكاتبة وعضو دائم في غرفة 19. لها العديد من المؤلفات المنشورة، منها: شربل داغر: قصيدتي، معهم، وبلساني، لبنان، العائدون للنشر، 2020؛ قصيدة التثر: محمد الماغوط أنموذجاً، سوريا، دار الأمل 2022؛ رؤى التحولات: قراءة في شعرية الوطن لدى الشاعر القروي وخليل حاوي ومحمد الماغوط، لبنان، دار الجيل 2023؛ بعض اللحظات: نص مسرحي وتشابكات مع نص شعري للشاعرة د. دورين سعد (النص المسرحي للأستاذ حميد عقبي)، أمزون، 2025. فضلاً عن إصدارات شعرية، وقرارات نقدية عديدة، وأبحاث منشورة في مجلات محكمة.

ماريان نصر: حائزة شهادة دكتوراه في علم الترجمة من جامعة السوربون باريس الثالثة بعنوان: La didactique de la traduction: Étude scientométrique.

رئيسة قسم الترجمة واللغات في جامعة البلمند. لها العديد من المؤلفات والترجمات المنشورة، منها:

La didactique de la traduction Étude scientométrique. Paris. Éditions L'Harmattan.

Cultural Anthropology between Equivalence and Translation. A case study in General and Specialist Translation/Interpretation.

La traduction du message politique dans les caricatures de Pierre Sadek in Discours Politique arabe : contraintes de traduction et de terminologie.

Constraints and Cultural Differences in the Translation of the Legal Text from English into Arabic in Language.

Culinary Translation: Cultural constraints and translation techniques

Translating/editing into arabic the following book : A Handbook for Research Administration.

Translated Poems in Room 19.

(2) ابن منظور، لسان العرب، "خطب"

(3) الفيروز آبادي (1329-1414م): لغوي وكاتب وشاعر معجمي. له العديد من المؤلفات من أبرزها "القاموس المحيط" (<https://mawdoo3.com>)

المراجعة بتاريخ 17/ 5/ 2025.

(4) الزبيدي (1732-1790م): "مرضى الزبيدي فقيه ومؤلف وكاتب ومحدث عراقي أصله من اليمن، وهو علامة في اللغة والحديث وعالم بالرجال والأنساب ومن كبار المصنفين، فضلاً عن كونه كاتباً وشاعراً ومؤرخاً". من أهم كتبه "تاج العروس" (<https://islamonline.net>)، المراجعة بتاريخ 17/ 5/ 2025.

(5) أرسطو (384-322 ق م): "مؤدب الإسكندر. فيلسوف يوناني من كبار مفكري البشرية... مؤسس مذهب "فلسفة المشائين" له العديد من المؤلفات (لويس معلوف، المنجد (الأعلام)، ص 13، 14).

(6) جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية والألمانية، 1/ 531.

(7) الغزالي (أبو حامد محمد) (1059-1111م): "ولد في طوس... من عظام فلاسفة العرب... له المنفذ من الضلال وهي قصة حياته الباطنية، وتهافت الفلاسفة، وإحياء علوم الدين" (لويس معلوف، م. س، ص 370).

(8) الغزالي (أبو حامد)، المستصفى من علم الأصول، 3/ 80.

(9) الأمدى (سيف الدين) (1156-1233م): "فقيه حنبلي ثم شافعي. أقام في بغداد ودمشق ومصر. من مؤلفاته: أبحاث الأفكار والإحكام في أصول الأحكام" (لويس معلوف، م. س، ص 3).

(10) الأمدى، الإحكام في أصول الأحكام، 1/ 136.

(11) هاريس (1909-1992): "كان عالماً مؤثراً لغوياً أمريكياً، وصيغاً رياضياً، وخبيراً منهجياً في الحساب" (<https://www.room-book.com>)، المراجعة بتاريخ 17/ 5/ 2025.

(12) Zellig S. Harris, "Discourse Analysis: Language", pp. 1- 30.

(13) اميل بنفنيست (1902-1976): عالم لغة فرنسي وأستاذ جامعي. "قدم دراسات وبحوثاً قيمة في مجال دراسة اللغات الهندية الأوروبية واللسانيات النظرية واللسانيات الترامنية" (<https://arab-ency.com.sy/details>)، المراجعة بتاريخ 17/ 5/ 2025.

(14) Émile Benveniste, *Problèmes de linguistique générale*, p. 242.

(15) باتريك شارودو: "باحث فرنسي متخصص في اللسانيات والسميائيات وتحليل الخطاب. حاصل على دكتوراه الدولة في الآداب والعلوم الإنسانية من جامعة السوربون" (<https://www.mominoun.com>)، المراجعة بتاريخ 17/ 5/ 2025.

(16) دومينيك مانغونو: "أستاذ فخري في جامعة السوربون العريقة بباريس، حاصل على دكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة باريس 5 العام 1979. من الأسماء المرموقة في "المدرسة الفرنسية لتحليل الخطاب". من مؤلفاته: مبادئ اللسانيات لتحليل النص الأدبي... تداولية الخطاب الأدبي..." (<https://www.qoraish.com>)، المراجعة بتاريخ 17/ 5/ 2025.

(17) دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب، ص 10.

(18) ميخائيل باختين (1895-1975): "فيلسوف ولغوي ومنظر أدبي روسي (سوفييتي). ولد في مدينة أريوم. درس فقه اللغة. علم في سلك التعليم..." (<https://ar.wikipedia.org>)، المراجعة بتاريخ 17/ 5/ 2025.

(19) M. Bakhtine, *Esthétique et théorie du roman*, p. 15.

(20) Michel Foucault, *L'ordre du discours*, p. 22.

(21) -منى يكن، "دور الخطاب الإسلامي"، ص 1.

(22) -عبد الحليم عباس، مصطلح الخطاب في الموروث اللغوي العربي القديم، ص 14.

(23) -انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 7/ 50، 51؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 15/ 162؛ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير

الجلالين، ص 600.

(24) -ابن كثير، م. س، 7/ 51.

(25) -م. ن، 8/ 312.

- (26) م.ن، 6/ 111.
- (27) جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، م.س، ص 289.
- (28) ابن كثير، م.س، 5/ 275.
- (29) م.ن، 7/ 393.
- (30) ميشال فوكو (1926-1984): "من أهم الفلاسفة في النصف الثاني من القرن العشرين. أستاذ جامعي وفيلسوف فرنسي ومؤرخ" (<https://www.youm7.com>، المراجعة بتاريخ 17/ 5/ 2025).
- (31) Juliette Wedl, "L'analyse de discours «à la foucault» en Allemagne: trois approches et leurs apports pour la sociologie", p. 35.
- (32) Groupe de chercheurs, *Les échanges langagiers en classe de langue*, p. 41.
- (33) F. Yazid, *discours universitaire scientifique, analyse linguistique et pragmatique*, p. 33.
- (34) Galisson et Coste, *Dictionnaire de didactique des langues*, p. 158.
- (35) Pierre Bourdieu et Jean Claude Passeron, *La reproduction, éléments pour une théorie du système*, p. 151.
- (31) M. Bakhtine, *Esthétiques de la création verbale*, p.32.
- (31) M. Bakhtine, *Le marxisme et la philosophie du langage*, p. 42.
- (33) نجاة عرب الشّعبية، "حوارية باختين: دراسة في المرجعيّات والمفردات"، ص 88.
- (34) الموضوع نفسه.
- (35) الموضوع نفسه.
- (36) نجيب محفوظ (1911-2006): "أديب وروائي مصري، نُشر له أكثر من خمسة وخمسة كتابًا في حياته ما بين روايات ومجموعات قصصية ومسرحيات، وهو أوّل أديب عربيّ يحصل على جائزة نوبل في الأدب عام 1988" (www.aljazeera.net، المراجعة بتاريخ 17/ 5/ 2025).

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
 2. الكتاب المقدّس: العهد الجديد.
 3. الكتاب المقدّس: العهد القديم.
- a. أوّلًا- المصادر والمراجع العربيّة
4. الأمدّي، الإحكام في أصول الأحكام، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1980، ج1.
 5. ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر)، تفسير القرآن العظيم، وضع حواشيه وعلّق عليه محمّد حسين شمس الدين، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، 1998، 9 ج.
 6. ابن منظور، لسان العرب، ط6، بيروت، دار صادر، 1997، 15 مج.
 7. الشّعبية (نجاة عرب)، "حوارية باختين: دراسة في المرجعيّات والمفردات"، مجلّة التّواصل، الجزائر، جامعة باجي مختار، العدد 31، سبتمبر 2012، ص 88.
 8. صليبا (جميل)، المعجم الفلسفيّ بالألفاظ العربيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة واللاتينيّة، بيروت، الشركة العالميّة للكتاب، 1994، ج 1.
 9. عبّاس (عبد الحليم)، مصطلح الخطاب في الموروث اللغويّ العربيّ القديم، مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ، 2013.
 10. الغزالي (أبو حامد)، المستصفيّ من علم الأصول، تحقيق محمّد عبد السلام الشّافعي، ط3، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1993، ج3.
 11. القرطبيّ، أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاريّ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة، دار الكتب المصريّة، 5 ج.
 12. مانغونو (دومينيك)، المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب، ترجمة محمّد بحيان، ط1، بيروت، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2008.
 13. المحلي، جلال الدين محمّد بن أحمد، وجمال الدين عبد الرّحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، ط1، القاهرة، دار الحديث.
 14. معلوف (لويس)، المنجد في اللّغة والأدب والعلوم: الأعلام، ط19، بيروت، المطبعة الكاثوليكيّة، 1966.
 15. جيك (منى)، "دور الخطاب الإسلاميّ"، جريدة الرّقيب، 2 آذار 2004، ص 1 (<https://archive.jinan.edu.lb/hadad/conferance...>)

• ثانيًا- المراجع الأجنبيّة

1. -Bakhtine (Michael), *Esthétique de la création verbale*, Armand Colin, 1986.
2. -... *Esthétique et théorie du roman*, Gallimard, 1980.
3. -... *Le marxisme et la philosophie du langage*, Paris, Minuit, 1977.
4. -Benveniste (Emile), *Problèmes de linguistique générale*, Paris, Gallimard, 1966.
5. -Bourdieu (Pierre) et Passeron (Jean Claude), *La reproduction, éléments pour une théorie du système*, 1970.
6. -Foucault (Michel), *L'ordre du discours*, Paris, éditions Gallimard, 1971.
7. -Galisson et coste, *Dictionnaire de didactique des langues*, 4^{ème} édition, Paris, Hachette, 1976.
8. -Groupe de chercheurs, *Les échanges langagiers en classe de langue*, Université de Grenoble 3, Ellug, 1984.
9. -Guilhaumou (Jacques), *Où va l'analyse du discours? Autour de la notion de formation discursive*, 2004.
10. -Harris (Zellig S.), "Discourse Analysis Language", vol. 28, No 1, Jan. -Mar... 1952, pp. 1- 30.
11. -Sarfati (G-E), *Éléments d'analyse du discours*, Paris, Nathan/ université, 1997.
12. -Wedl (Juliette), «L'analyse de discours «à la foucault» en Allemagne: trois approches et leurs apports pour la sociologie». *Langage et société*, 2007/ 9 n° 120, p. 35.
13. -Yazid (F.), *Discours universitaire scientifique, analyse linguistique et pragmatique*, thèse de magister, Ellug, 1984.

• ثالثاً- المراجع الرقمية

1. -<https://ar.wikipedia.org/wiki>
2. -<https://arab-ency.com>
3. -<https://archive.jinan.edu.lb/hadad/conferance..>
4. -<https://islamonline.net>
5. -<https://mawdoo3.com>
6. -<https://www.aljazeera.net>
7. -<https://www.marefa.org>
8. -<https://www.mominoun.com>
9. -<https://www.qoraish.com>
10. -<https://www.room-book.com>
11. <https://www.youm7.com>.